لماذا كل هذا الضجيج حـــول « أزمـــة الطاقة » ؟

كين مايركورد

مثل عاصفة صيفية هوجاء هبت علينا فجأة « أزمة الطاقة » ، مهددة باقتلاع وجود هـــذه الامة [الاميركية] من أساسه . الصحافة تصور مصير الغرب مربوطا بخيط نفطي يمسك بطرفه عـــرب مزاجيون ، والاميركيون السذج يضرعون امام صور اميركا التي بدون نفط حيث الاطفال يمشون الى المدرسة سيرا على الاقدام والامهات يخيطن علـــى ضوء الشموع والاباء يهيئون الاخشاب للنار .وبينما نصغي نحن بصمت رهيب يتنبأ زعماؤنا بان ازمة الطاقة « ستحل مكان الحرب الباردة اذ ستكون اكثر المشاكل الحاحا تواجه اميركا في السنوات القادمة » (الجنرال جورج لينكولن ، مدير مكتب تجهيزات الطوارىء) .

ولكن ربما كان من الحكمة ان نتأمل قليلا قبل ان نبدأ باقامة المتاريس .

يشير المفكر الاسرائيلي — الاميركي نادا ف سافران الى انه « قد مرت عدة تخويفات نفطية في تاريخ اميركا الحديث ، ولكن ذلك كان يتفق دوما مـــع مطالب محددة من شركات النفط الكبرى الى حكومة الولايات المتحدة . ولكن حين كانت هذه المطالب تستجاب او حتى تبدو أنها في طريق التحقيق ، كانت « أزمة النفط » تختفي بشكل مفاجىء وغامض مثلما بدأت » . فلقد جاء التخوف النفطي الكبير عامي ١٩١٩ — ١٩٢٠ مثلا عندما كانت شركـــات النفط الاميركية الرئيسية تسعى للحصول علـــى دعم الحكومة للحصول على نصيب في شركة نفط العراق . وفي نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت حالة خوف اخرى عندما كانت شركتا ستاندرد اويل اوف نيوجيرسي وسوكوني تطلبان دعم الحكـــومة في اخلالهما باتفاقية طويلة الاجل مع المصـــالح البريطانية والفرنسية وذلك لكي تدخلا في شراكة مع شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا وشركة تكساكو في شركة النفط العربية — الاميركية (ارامكو) . وامتدت تلك الحالة الى ان حصلت شركة ارامكو من الحكومة على حصة من تساطل الفولاذ القليلة، وذلك لكي تتمكن من تمديد خط التابلاين .

يجب ان يكون واضحا تماما انه في صناعة متقدمة، ضخمة وحيوية مثل صناعة النفط حيث يعمل الاف الاخصائيين ، حكوميين ومستقلين ، في دراســـة الاتجاهات واعداد الخطة القصيرة والبعيدة ، فان الازمات لا يمكن ان تأتي على حين غرة . فهـــذه الازمات لا بد وان تكون متوقعة سلفا ، مع أن الجماعة صاحبة المصلحة الخاصة والتي تقف وراء الازمة الحالية لا زالت غير معروفة . من الممكن ان يكون أصحاب « نورث سلوب » راغبين في التغلب على الاحتجاجات من اجل سلامة البيئة ، والتي تعرقل بناء خط انابيب النفط عبر الاسكا . كمـــا يمكن أن تكون هذه الجماعة هي في الواقع منتجـــو النفط المحليون وذلك بسبب خوفهم من أن يؤدي استيراد النفط الرخيص الى اغراق سوقهم اذا هم لم يبادروا ويجعلوا الاميركيين يشعرون بضرورة الحاجة الى تطوير مصادر الطاقة الداخلية . ولكن على الارجح ان يكون هؤلاء النافذون قد ركبـــوا الموجة فقط ، وان تكون شركات النفط الاميركية العاملة في الشرق الاوسط ، مرة اخرى ، هي التي تقف وراء الازمة .

لم يكن حدثا معينا او طلبا محددا هو الذي جعل الكبار يقذفون بالامة الى حـــالة الذعر هذه المرة ، وانما يعود ذلك الى التحول الذي حصل في ميزان القوى بين شركات النفط والدول المنتجة في السنوات الثلاث الماضية . لقد بدأت المسألة بالانقلاب الليبي الذي جاء بالقذافي ورفاقه الى السلطة . ففي ذلك الوقت كانت شركات النفط ترد على الدول المنتجة بانه من غير الممكن زيادة أسعار النفط بسبب وجود فائض نفطي في السوق ، بينما كانت الصحـــافة تؤكد للقراء ان استغلال زيت الشيل والقـــوة النووية بالاضافة الى الاكتشافات في كل مـــن الاسكا وبحر الشمال ، سيضع في وقت قريب حدا لاعتماد العالم على نفط الشرق الاوسط . وفـــي وضع مثير طرح النظام الليبي الجديد على شركات النفط طلبه بزيادة السعر باي شكل . وفوجىء الجميع حين رأوا الليبيين يحصلون على الزيادة التي كانت تحاول تحقيقها منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبيك) منذ تسع سنوات بدون جدوى . وقدمت الدول الاخرى المنتجة ، وهي مندهشة بالنجاح الليبي ، طلبا للحصول على زيادات مماثلة ، وحصلت عليها في النهاية . وحتى هذا العـــام